[٢٣٢ – عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما –: أن تلبية رسول الله ﷺ: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).

قال: وكان عبدالله بن عمر يزيد فيها: لبيك لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل].

هذا الحديث الشريف الذي يرويه الصحابي الجليل أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر – رضي الله عنه وعن أبيه – اشتمل على صفة تلبية رسول الله ﷺ في نسكه، وهذه التلبية حُفظت عن رسول الله ﷺ في أكثر من حديث، وأجمع العلماء – رحمهم الله – على أنها مستحبة للمحرم حاجاً كان أو معتمراً، والتلبية تفعلة من لبى، قال بعض العلماء: إنما مثنى لبى كما اختاره الفراء وسيبويه، وقال بعض العلماء: إنها مفردة كعَلَيْك ولَدَيْك وإليك، واختلف في معنى لبى فقيل: لبى بمعنى أجاب، وحينئذ يكون قول المحرم: "لبيك" أي إجابة لك يا الله بعد إجابة، وذلك أن الخليل أمر بأمر الله فقال: "يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا" فأذن بالناس بالحج، فالمسلم يقول: لبيك إجابة لداعي الله، وقد قال رسول الأمة – صلوات الله وسلامه عليه – كما في الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه وأرضاه –: (أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا) فالمسلم يقول: "لبيك" أي إجابة لك يا الله بعد إجابة، امتثالاً لأمر الله وطاعة له ﷻ. وقال بعض العلماء: إن قول المسلم "لبيك" من ألب بالمكان إذا أقام فيه، فقول المحرم: "لبيك" أي أنا مقيم على طاعتك يا رب إقامة بعد إقامة، فهو في حجه ينتقل من طاعة إلى طاعة، ومن خير إلى خير ومن بر إلى بر، فهو مقيم على الطاعة. كذلك قيل – وهو القول الثالث –: إن لبى من لُب الشيء وهو خالصه وجوهره ومعدنه، فالمراد بذلك: إخلاصي لك يا الله إخلاصاً بعد إخلاص، ذلك أن العبادة لله وحده لا شريك له ولذلك كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يسمون هذه التلبية ويصفونها بأنها توحيد، قال جابر ﷺ: "أهلَّ رسول الله ﷺ بالتوحيد" يعني بالإخلاص، فالعبد يقول: "لبيك" أي إخلاصي

لك يا الله وهذا مكرر من العبد في كل عبادة؛ لأن الله يقول: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ وقيل: إن التلبية من المواجهة يقال: داري تُلِب بدارك أي تواجهها، فكأنه يقول: أنا متجه ووجهتي إليك يا الله وجهة بعد وجهة، فما فرغ من طاعة إلا ووجّه وجهه لله في الطاعة التي تليها، وهذا هو هدي الأنبياء والمرسلين وهدي الصالحين والأخيار والمتقين، قال إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا﴾ فالعبد وجّه وجهه لله ووجه قلبه وقالبه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً. وقيل: إن لبى من أقام في الموضع تقول: ألب في المكان أي إذا أقام فيه، كأنه يقول: أنا مقيم على طاعتك ومحبتك ومرضاتك إقامة بعد إقامة. وأياً ما كان فكل هذه المعاني معانٍ شريفة كريمة وما أسعد المؤمن الموفق السعيد الذي إذا لبى لربه لبى مستشعراً لهذه المعاني من توحيد الله وإخلاصه وإفراده بالعبادة وطاعته، وكأنه في حجه وعمرته يأخذ على نفسه العهد أنه يخلص لله ولا يشرك بالله شيئاً لا في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، فهو على هذا العهد العظيم الذي بينه وبين الله ﷻ.

وقوله: **[(لبيك اللهم)]** أي لبيك يا الله، فاللهم أصلها "يا الله" حذف حرف النداء وعُوض عنه بالميم، ولذلك لا يقال: "يا اللهم" إلا في قريض الشعر كما قال ابن مالك:

والأكثر اللهم بالتعويض وشذ يا اللهم في قريض

[(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك)] والشريك هو المخالط، والشِركة والشَركة والشُركة مثلثة هي اختلاط الأشياء، والله ﷻ ليس له ولي من الذل ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وحده لا شريك له في ألوهيته ولا شريك له في ربوبيته ولا شريك له في أسمائه وصفاته، فلا شريك له في ربوبيته فهو – سبحانه – الذي خلق الخلق فأحصاهم عدداً، وهو الذي رزقهم فلم ينس منهم فرداً، وهو الذي قدر المقادير ﷻ، وكذلك لا شريك له في ألوهيته فلا يملك النفع ولا الضر أحد سواه، فهو الذي بيده مقاليد السماوات والأرض وبيده أزِمّة الأمور كلها، ما يفتح من

رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﷻ، وهو الواحد في أسمائه وصفاته فلا سمي له سبحانه، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى على أتم الوجوه وأكلمها – ﷻ وتقدست أسماؤه ولا إله غيره –.

[(لبيك لا شريك لك، إن الحمد)] يقال: حمد الرجل إذا أثنى عليه سواء كان للمحمود نعمة على الحامد أو لم تكن له نعمة عليه، ومن هنا خالف الحمد الشكر فإن الشكر يكون بسبب النعمة، فالحمد أعم من الشكر من جهة السبب الباعث، والشكر أخص من جهة السبب وأعم من جهة الوسيلة؛ لأن الحمد لا يكون إلا باللسان والشكر يكون باللسان وبالجوارح والأركان ويكون بالجنان.

وقوله: **[(إن الحمد)]** يقال: "حمد" إذا أثنى، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي: (إذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي) وكل ذلك من حمده والثناء عليه ﷻ. يقال: حمد الرجل الرجل إذا أثنى عليه بالصفات الطيبة، فلو قال: "فلان كريم" فقد حمده، ولو قال: "فلان شجاع أو عالم" فقد حمده، والله ﷻ هو المستحق للحمد الكامل له الحمد في الأولى وله الحمد في الآخرة، له الحمد ظاهراً وله الحمد باطناً، له الحمد أولاً وله الحمد آخراً، له الحمد كالذي نقول وله الحمد خيراً مما نقول وله الحمد كالذي يقول ﷻ، وأل في "الحمد" للاستغراق شاملة لجميع المحامد التي تليق به ﷻ.

وقوله: **[(إن الحمد والنعمة لك والملك)] [(والنعمة)]** فالله وحده هو الذي أنعم على الخلائق كلها، فما من مخلوق إلا وهو في نعمته ﷻ فله النعمة التي لا تعد ولا تحصى، وله المنة التي لا تكافأ ولا تجزى، فالله سبحانه له النعمة على عباده فقد وسعت رحمته كل شيء، فما من شيء إلا وقد أنعم ربك عليه، أنعم علينا ظاهراً وباطناً، وأنعم علينا سراً وعلانية، وكان أعظم النعم

وأشرفها وأزكاها على الإطلاق نعمة الإسلام ونعمة الهداية للتوحيد وإخلاصه وإفراده بالعبادة، فيحمد العبد ربه على هذه النعمة، ولذلك وصفها الله ﷻ بكونها نعمة ونسبها إليه – سبحانه –، فقال – سبحانه –: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فأعظم نعمة من الله ﷻ عليك يوم لم يجعل سجودك لحجر ولا لشجر ولا لبقر، أعظم نعمة من الله يوم رزقك قلباً لا يعرف أحداً سواه، وانظر إلى من أشرك بالله كيف تستهويه الشياطين في الأرض حيران ليس له من دون الله من ولي ولا نصير، كأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، فمن أشرك بالله ضل ضلالاً مبيناً وكان مخذولاً من الله في الدنيا والآخرة، فإذا تذكر العبد نعمة الله إذ هداه للإسلام حمد الله حق حمده، وشكره أعظم ما يكون من شكره ﷻ، ولذلك كان ابن عمر – رضي الله عنهما وأرضاهما – إذا وقف على الصفا يقول: "اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وإنك لا تخلف الميعاد، اللهم كما أنعمت علي بالإسلام فلا تنزعه مني حتى تتوفاني عليه" كل ذلك لعظيم استشعاره لنعمة الله – جل وعلا – عليه بالإسلام، ثم انظر – رحمك الله – إلى أعظم نعمة في نعمة الإسلام حيث جعلك من أتباع خير خلقه وأفضل رسله – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه إلى يوم الدين –، فجعل نعمته عليك بالإسلام في أتم الأحوال وأجملها وأكملها؛ لأن هذه الرسالة هي أحب الرسالات إليه ﷻ ورسولها أحب الخلق إلى الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه إلى يوم الدين.

ومما زادني شرفاً وتيهاً فكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي في ندائك يا عبادي وأن صريت أحمد لي نبيا

صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فيحمد العبد ربه على هذه النعمة **[(إن الحمد والنعمة لك والملك)]** فالله وحده هو الذي له النعمة على خلقه، ولذلك استوجب على عباده أن

يشكروه ورضي منهم هذا الشكر، ومن هنا قال ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها).

[(إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)] تأكيد، فالتوحيد يقوم على أمرين:

أحدهما: الإثبات. والثاني: النفي، وهما اللذان تضمنتهما شهادة التوحيد "لا إله إلا الله"، وهذا الإثبات والنفي جاءت به رسالة الرسل جمعاء ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ إثبات لله ﷻ ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ نفي الشريك عن الله ﷻ، وهذا هو معنى قوله: "لا إله إلا الله"، وهو أول أمر في كتاب الله وأول نهي، فالله ﷻ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ فأول أمر في القرآن هذا الأمر في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة اشتمل على الإثبات، وأول نهي ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فهذا هو الذي تضمنته شهادة التوحيد وتضمنته تلبية رسول الله ﷺ بالتوحيد، فلو أثبت العبد لله أنه الإله وعبد مع الله غيره فلم يوحده، ولو نفى كأهل الطبيعة – والعياذ بالله – ينفون أن يكون هناك إله – تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً – فيقولون: لا إله والحياة مادة أو الأشياء أوجدت نفسها أو الطبيعة أوجدت وخلقت – تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً –، فهذا هو عين الكفر والإلحاد والخروج عن سبيل الله – جل وعلا – بالكلية، فلا بد من الإثبات والنفي.

[(إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)] "لبيك" هذه التلبية اشتملت على هذه المعاني العظيمة، واستحب جمهور العلماء – رحمهم الله – أن يقتصر على هذه التلبية ولا يزيد عليها ولا ينقص منها، ذلك أن رسول الله ﷺ اقتصر على هذه التلبية، فالأفضل والأكمل أن يلبي بها، وقال جمهور العلماء: يجوز للمسلم أن يزيد لكن خلاف المستحب، والدليل على جواز الزيادة: أن النبي ﷺ كان يسمع الصحابة – رضوان الله عليهم – يلبون بغير تلبيته، ففي الصحيح من حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – أنه كان يسمعهم يقولون: "لبيك ذا المعارج" أي: خالق السماوات،

وكان ابن عمر – رضي الله عنهما – كما ذكر المصنف يزيد في تلبيته: **[لبيك لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل]** وكان أنس بن مالك ﷺ يقول: "لبيك حقاً حقاً، تعبداً ورقاً، لبيك إله الحق" فهذا يدل على جواز الزيادة والتغيير، لكن هذا خلاف المستحب، لكن الأفضل والأكمل اتباع هدي رسول الله ﷺ، فمن لبى بتلبية رسول الله ﷺ جعل الله له الأجر في التلبية وفي اتباع رسول الله ﷺ والتمسك بسنته، وكان من هديه عليه الصلاة والسلام في هذه التلبية: أن يبتدئها وهو في مصلاه بعد أن يفرغ من صلاته وكان قد صلى صلاة الفريضة ثم لبى وهو في مصلاه بعد أن نوى فقال: (لبيك اللهم لبيك). وأهلَّ بهذا التوحيد فدل على أن السنة أن يلبي الحاج والمعتمر وهو في مصلاه قبل أن يقوم من مقامه، ثم لما ركب عليه الصلاة والسلام ناقته القصواء أهل من عند الشجرة وكان بجوار الشجرة أهل عليه الصلاة والسلام، فأخذ العلماء من هذا دليلاً على أن السنة أن تلبي وأنت في مصلاك ثم تلبي بعد ركوب الدابة – وفي زماننا السيارة –، ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما رقا البيداء وعلا على البيداء أعاد وكرر فلبى ثالثة، ومن هنا أخذ العلماء الدليل على أن السنة أن تلبي إذا علوت نشزاً أو هبطت وادياً تأسياً برسول الله ﷺ، فقد لبى وهو في بطن الوادي ولبى وهو على النشز على البيداء التي هي بحذاء أبيار علي وهو الميقات ميقات ذي الحليفة، فأهل – عليه الصلاة والسلام – من فوقها، ثم يرد السؤال: متى تُقطع هذه التلبية؟ والجواب: أن المحرم إما أن يكون معتمراً وإما أن يكون حاجاً، فإن كنت في العمرة: فالسنة أن تقطع هذه التلبية وتُمسك عنها عند استلامك للحجر وابتدائك للطواف؛ لأن النبي ﷺ ثبت عنه في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه وعن أبيه –: أنه كان مع النبي ﷺ في عمرة الجعرانة – وهي العمرة التي أخذها عليه الصلاة والسلام بعد فتحه للطائف – قال: "فلم يزل يلبي حتى استلم الحجر". فدل على أنه إذا استلم المعتمر الحجر أو إذا لم يستلمه بأن ابتدأ الطواف وكانت هناك زحمة فعند ابتدائه بالطواف يقطع التلبية، وهذا هو مذهب الجمهور – رحمهم الله –. وقال المالكية – رحمهم الله –: يقطع التلبية عند دخوله للحرم، وذلك لأن ابن عمر – رضي الله عنهما – كان يلبي كما روى مالك عن نافع: أنه كان يلبي حتى إذا بلغ الشراج والحرار التي هي قريبة من التنعيم قريباً من دخوله من مكة

قطع تلبيته – رضي الله عنه وأرضاه –. والذي يظهر – والله أعلم –: أن السنة أن يستمر في تلبيته حتى يستلم الحجر، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – عند أبي داود والترمذي وصححه غير واحد من العلماء أن النبي ﷺ قال: (يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر) فهذا يدل على أن السنة في العمرة أن يقطع المعتمر تلبيته عند استلامه للحجر. وأما في الحج فاختلفت أقوال العلماء متى يقطع المحرم بالحج تلبيته؟ فقال طائفة من العلماء: يقطع تلبيته إذا مضى إلى الصلاة في يوم عرفة، فإذا ذهب إلى الصلاة فإنه يقطع التلبية، قالوا: لأن ركن الحج الأعظم هو الوقوف بعرفة فإن انصرف لموقفه ولصلاته فإنه يقطع تلبيته، وهذا القول مأثور عن بعض أصحاب النبي ﷺ وقال به إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس – رحمة الله على الجميع –. وقال بعض العلماء: يقطع التلبية عند ابتداء رميه لجمرة العقبة، وبهذا القول قال فقهاء الشافعية والحنابلة وينسب للجمهور – رحمهم الله – قالوا: إذا ابتدأ رمي جمرة العقبة في صباح يوم العيد فإنه يقطع التلبية، واستدلوا بحديث الفضل بن عباس – رضي الله عنه وعن أبيه –: أنه كان مع النبي ﷺ في صبيحة يوم النحر في يوم العيد وكان رديفه على دابته وناقته القصواء صلوات الله وسلامه عليه ثم قال: "لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة" قالوا: فهذا يدل على أنه يلبي بعد الوقوف بعرفة على خلاف أصحاب القول الأول، ومما يدل على ذلك أثر ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان في ليلة العيد ولبى بمزدلفة فنظر الناس إليه مستغربين فقال: "ما شأن الناس؟ إني سمعت الذي أُنزلت عليه البقرة – صلوات الله وسلامه عليه – يقول في هذا المكان: (لبيك اللهم لبيك)" فدل على أن التلبية لا تُقطع يوم عرفة. وقال بعض العلماء – وهو القول الثالث –: أنه يلبي أثناء رميه لجمرة العقبة حتى يرمي آخر حصاة من جمرة العقبة، وقد جاءت بذلك رواية ابن خزيمة واختارها بعض أئمة الحديث وهو رواية عن الإمام أحمد – رحمة الله على الجميع – وفيها قول الفضل: "فلم يزل يلبي حتى رمى آخر حصاة من جمرة العقبة". هذا يدل على أن الأفضل أن يستمر في التلبية حتى يرمي آخر حصاة من جمرة العقبة. والأفضل والأكمل والمستحب للمسلم أن يكثر من التلبية؛ لما فيها من ذكر الله ﷻ وإعلان التوحيد والتشريف بتمجيده ﷻ، والله يحب الذاكرين ويحب الذكر حتى وصفه ﷻ بأنه أكبر كما قال ﷻ:

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال العلماء: إن ذكر الله أكبر ما يكون من العبد، فدل على فضل الذكر، والذكر له فضيلة عظيمة ومنزلة شريفة كريمة لكن كل ذكر مخصوص بعبادة مخصوصة فإنه فيها أفضل وفيها أعظم وأكمل فيحرص على الإكثار من التلبية، ثم السنة وهدي رسول الله ﷺ فيها رفع الصوت ولذلك قال ﷺ: (الحج: العج والثج) فالعج هو رفع الصوت، عجت الأصوات إذا ارتفعت، فبين ﷺ أن الحج الكامل من المسلم الذي يرجو رحمة ربه ويرجو مغفرته وإحسانه وبره أن يرفع صوته، "العج" وهو رفع الصوت بذكره ﷻ، و"الثج" وهو نحر الهدي وما يكون من الدماء التي يريقها الحاج تقرباً لله ﷻ في نسكه، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح أنه قال: (أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية) فهذا أمر للأمة جمعاء أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فالسنة أن يرفع المسلم صوته بها لما فيه من التقرب لله ﷻ، وتشهد الأرض للعبد إذا شهد شهادة التوحيد ونطق بوحدانية الله شهد له كل ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر ومدر، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لأبي سعيد ﷺ: (إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك فأذِّن فإنه لا يسمع صوتك جن ولا إنس ولا حجر ولا شجر ولا مدر إلا شهد لك يوم القيامة) لأنه يقول في الأذان: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله" فدل على فضل رفع الصوت بتوحيده ﷻ وتمجيده وتعظيمه، وما الذي خُلقت الخلائق من أجله غير هذا التوحيد وهذا التمجيد، وليتشرف المسلم بذلك فإن بائع الدنيا وشاريها وراغبها والمتاجر بها يرفع صوته في تجارته ويصيح في الناس ويتشرف ببيعه وشرائه ومع ذلك تشتري سلعة الله الغالية وتشتري جنة عرضها السماوات والأرض وتبيع نفسك لمرضات الله ﷻ فترفع صوتك خاصة إذا كان من حولك في غفلة وكانوا في نسكهم غافلين عن هذه السنة فترفع صوتك إحياءً لها، قال أنس ﷺ: "فما بلغنا فج الروحاء حتى بحت أصواتنا" وذلك امتثالاً لهذه السنة وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ برفع الصوت بالتلبية أنهم رفعوا أصواتهم حتى بحّت وكان ابن عمر – رضي الله عنه وأرضاه – كان يلبي ويرفع صوته حتى إن سالماً ابنه يقول: "ما كان أبي – يعني: في حجه وعمرته – يصل إلى الروحاء إلا وقد ذهب صوته" وذلك من كثرة رفعه للصوت بالتلبية وتوحيد الله – جل وعلا – وتمجيده، وهذا

الرفع يكون من المسلم ويرفع به صوته ويرفع الناس أصواتهم جماعة ولا يكون ذلك بترتيب وترتيل على النغمات التي اعتادها بعض الناس في زماننا، فهذا مما لا أصل له أن يجتمعوا على ملبٍّ واحد ويلبون وراءه، فهل هناك أشرف وأفضل من رسول الله ﷺ؟ فلو كان الاتباع لملبٍّ واحد لاتبعه الصحابة وللبوا وراءه بتلبيته فدل على أنه ينبغي للمحرمين بالحج والعمرة أن يلبي كل منهم على انفراده، ومن هنا قال بعض العلماء – رحمهم الله – وهو قول له وجهه: إن هذا النوع من التلبية والذكر بالتلبية على هذا الوجه المخصوص من البدعة والحدث. وهكذا كلها من الحدث، فأنت تلبي لربك لا تحتاج إلى أحد يلقنك، ولا تحتاج لأحد أن يتقدم عليك، هذا الوقت الذي تسكت فيه تنتظر أن يلبي ذاك الرجل قد تصيب فيه رحمة بذكر الله وتكرار التلبية، فيحرص المسلم على السنة والوارد ولذلك ضيع الناس كثيراً من هذه الأمور وأصبحت أمور الحج كأنها طقوس وتراتيب لا معنى لها، حتى إنه – نسأل الله السلامة والعافية – حتى بلغ بالبعض أنه لا يستطيع أن يطوف إلا إذا كان أمامه مطوف يدعو له يُعلمه كيف يدعو ربه وكيف يسأل ربه، هل أنت محتاج إلى أحد أن يدخل بينك وبين الله يعلِّمك ما الذي تسأل ربك؟! يا أخي سل الله العافية وطف ببيت الله، لو لم تطف إلا وأنت تقول: "اللهم إني أسألك العفو والعافية" لحزت خير الدين والدنيا والآخرة، ولو لم يطف الإنسان إلا وهو يقول: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة" لجُمع له الدعاء، وكان من جوامع دعائه عليه الصلاة والسلام ولجمع لنفسه خير الدنيا والآخرة "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة"، فأصبحت الناس تؤدي هذه الأذكار من التلبية والأدعية وراء أشخاص مأجورين، وراء أشخاص قد يستأجرون لحطام الدنيا وقد يدعو الواحد منهم بدعوة لا يفقهها من يؤمن على دعائه، ولربما تؤخذ هذه الكتب خاصة إذا كانت مخصصة بالشوط الأول والثاني فلا يشك أنها بدعة وحدث؛ لأن رسول الأمة ﷺ ما شرع لنا في كل طواف دعاءً مخصوصاً، فينبغي أن ينبه هؤلاء على أنه ليس في سنة رسول الله ﷺ وليس في هديه تخصيص أشواط الطواف وأشواط السعي بأدعية مخصوصة، دعاء الشوط الأول، دعاء الشوط الثاني، دعاء الشوط الثالث ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ

﴿ ما أذن الله لنا بتخصيص هذه الأدعية فلندع بما فتح الله علينا، إذا أردت أن تدعوا فتذكر خير الدنيا والآخرة، فاسأل الله من خير دينك وابدأ بالدين وبالآخرة قبل كل شيء، فاسأل الله صلاح دينك ثم اسأله صلاح دنياك، وإذا أردت أن تجمع الصلاحين فخذ بدعاء النبي ﷺ الثابت في الصحيح: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر) دعوة ما تركت خير الدين والدنيا والآخرة إلا جمعته، فهذا الدعاء المأثور إذا قلته أُجرت وأصبت الرحمة باتباع رسول الله ﷺ، وإن من أسباب الإجابة ومن الأسباب التي يستدل بها على إجابة الدعوة تحري هدي رسول الله ﷺ في الدعاء، هذا مما يعين على إجابة الدعوة ويسهل للعبد قبول دعائه ومسألته أن يتعلم كيف كان رسول الله ﷺ يدعو ربه ويسأله، فتخصيص شخص يدعو أو تخصيص شخص يلبي والناس من ورائه كل ذلك مما لا أصل له، وينبغي تنبيه الناس في ذلك فيرفع الناس أصواتهم ويلبون كل يلبي بحسبه. وأما النساء فجمهور العلماء – رحمهم الله – على أن المرأة لا ترفع صوتها بالتلبية وأنها تسر وتخفي، وهذا أصل أن المرأة ينبغي عليها أن تلزم الحياء، وأن عليها أن تستتر بستر الله فلا خير في المرأة إذا كانت صفيقة الوجه طليقة اللسان لا تستحي من الرجال يُرفع صوتها وكأنها رجل، ولذلك لعن رسول الله ﷺ المسترجلات من النساء فإن المرأة تسترجل في القول كما يقول العلماء: إن هذا الحديث قال فيه: "لعن رسول الله ﷺ المسترجلات من النساء" واسترجال المرأة يكون بالقول وبالفعل، يكون بالقول حينما تتكلم كما يتكلم الرجال، وتُكلم الرجال بدون حياء ودون مبالاة، فهذا – نسأل الله السلامة والعافية– نوع من الاسترجال، ومما يدل على أن المرأة ينبغي عليها أن تحافظ في صوتها أن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: (إنما التسبيح للرجال والتصفيق للنساء) فانظر – رحمك الله – إلى الإمام وهو بحاجة إلى أن يُسبَّح له وأن ينبَّه مُنعت من الكلام، ولذلك مُنع من رفع صوت المرأة ونص العلماء – رحمهم الله – على أنه لا يجوز للمرأة أن ترفع صوتها وأن تتكلم مع الرجال من دون حاجة، فإنها فتنة للرجل شاءت أو أبت، وهذا رسول الأمة ﷺ يقول: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) وكان العلماء يستحبون إذا

استفتت المرأة أن يصغي إليها العالم وأن يكون بحضور الرجال وأن يُحرص قدر المستطاع أن لا يسمع صوتها ما أمكن، وإلا يجوز إذا سألت بحضرة الرجال أن ترفع صوتها عند وجود الحاجة، وعلى كل حال من حيث الأصل أنه ينبغي للمرأة أن تخفض صوتها وأن تذكر ربها بقدر ما تُسمع نفسها في التلبية، وهذه التلبية لها فضل عظيم وقد جاءت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ منها الضعيف ومنها ما هو قابل للتحسين، ومن ذلك ما روى ابن ماجة في سننه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مسلم يضحى يلبي ثم تغيب عليه الشمس إلا غابت بذنوبه فرجع كيوم ولدته أمه) والمراد بهذا (يضحى يلبي) أي أنه منذ طلوع الشمس، الضحى في أول النهار منذ طلوع الشمس ولسانه يلهج بتوحيد الله والتلبية وذكر الله حتى تغيب عليه الشمس وهو في هذا الذكر المحمود والمقام الكريم في تمجيده لله ﷻ (إلا غابت بذنوبه فرجع كيوم ولدته أمه) وهذا ليس بعسير على الله فإن العبد لربما غُفرت ذنوبه بكلمة واحدة من رضوان الله ﷻ، فالله ﷻ كريم وليس لكرمه منتهى. كذلك ورد عن النبي ﷺ في السنن أنه قال: (ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر وشجر ومدر حتى تنقطع الأرض) فالأرض وخلق الله ﷻ كله ما عدا الجن والإنس اللذان هما في غفلة، هذه المخلوقات كلها تحب ذكر الله ﷻ، وتسبح بحمده ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ فإذا سبح العبد ربه وأثنى عليه بهذا الذكر العظيم: "لبيك اللهم لبيك" تردد هذا الذكر ولبى ما عن يمينه من الحجر والشجر والمدر والذي أنطق الحي قادر على أن ينطق الجماد، والذي خلق الخلق قادر على أن يجعل للجماد لساناً وأن يجعل له عيناً فهو على كل شيء قدير، قال ﷺ: (إني لأعرف بمكة حجراً كان يسلم عليّ بالنبوة) فهذا حجر أنطقه الله ﷻ، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء وهو على كل شيء قدير ﷻ، فالله على كل شيء قدير، فيحرص المسلم على ذكر الله ﷻ وخاصة في هذا الزمان فإن العمرة ربما قضاها الإنسان في ظرف ساعة واحدة، فلا يتيسر له وقت للذكر إلا الوقت اليسير على خلاف الأزمنة القديم تمر اليوم تلو اليوم ولربما الأسابيع ولربما الشهور وهم في حجهم أو عمرتهم، فيحرص على ذكر الله ﷻ بهذه

التلبية خاصة في زماننا، ويتعاهد المسلم من تحته كأبنائه وبناته وإخوانه ورفقائه فيذكرهم بهذه السنة، يذكرهم حينما يلبي فيلبون بتلبيته فيتذكرون ويكون ذلك من الأمر بطاعة الله والحث والحض على مرضاة الله ﷻ.

التلبية في الحج والعمرة واجبة ولذلك أُمر بها عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح من حديث عمر ﷺ قال: (أتاني الليلة آت من ربي فقال: أهلَّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة) ولذلك قال: (لبيك حجة وعمرة) وأمر – عليه الصلاة والسلام – بالتلبية، أمر بها أصحابه – رضوان الله عليهم – وأمرهم أن يرفعوا بها أصواتهم. فالأصل أنها واجبة ولا يجوز تركها بالكلية في نسك الحج والعمرة، فلو أنه اعتمر ولم يلبّ في عمرته لزمه دم في أصح أقوال العلماء – رحمهم الله –؛ لأنها فرض واجب في العمرة والحج ولا يجوز أن يمضي عليه نسكه تاماً دون أن يلبي؛ لأن رسول الله ﷺ لبى وقد قال: (خذوا عني مناسككم) فحافظ على تلبيته عليه الصلاة والسلام، فلو لبى ولو مرة واحدة سقط عنه الدم، أما إذا تركها بالكلية فقد أخل بهذا الواجب ولزمه ما يلزم من ترك الواجبات – والله تعالى أعلم –.